النيل

ملهم الشعراء

النيل ملهم الشعراء

النيل هبة الله التي حبا مصر بها ومن عليها به فأنبت ثراها . وأخرج من أرضها مرعاها . وطيبها وسواها . وزين صبحها وضحاها . فأدرك فضله الناس وتغنى الشعراء بجماله . ولهج لسانهم بعذوبة مائه وتعال معي عزيزي القارئ نستعرض بعض ما كتب الشعراء، وهو كثير منه :

قصيدة النيل / للشاعر أحمد شوقي

مِن أيِّ عَهدٍ فـــي القُـــرى تَتَدَفَّـــقُ
وَبِأيِّ كَفٍّ فـــي المَدائِـــنِ تُغـــدِقُ

وَمِنَ السَماءِ نَزَلـــتَ أَم فُجِّـــرتَ مِـــن
عَلياءِ الجِنـــانِ جَـــداوِلاً تَتَرَقـــرَقُ

وَبِأيِّ نَـــولٍ أَنـــتَ ناسِـــجُ بُـــردَةٍ
لِلضِفَّتَينِ جَديـــدُهـــا لا يُخـــلَـــقُ

وَالماءُ تَسكُبُـــهُ فَيُسبِـــكُ عَسجَـــداً
وَالأَرضُ تُغرِقُها فَيَحيـــا المُغـــرَقُ

تُعيي مَنابِعُـــكَ العُقـــولَ وَيَستَـــوي
مُتَخَبِّـــطٌ فـــي عِلمِهـــا وَمُحَقِّـــقُ

دانـوا بِبَحـــرٍ بِالمَكـــارِمِ زاخِـــرٍ
عَذبِ المَشـــارِعِ مَـــدُّهُ لا يُلحَـــقُ

مُتَقَيِّـدٌ بِعُـهـــودِهِ وَوُعـــــودِهِ
يَجري عَلى سَنَنِ الوَفـــاءِ وَيَصـــدُقُ

يَتَقَبَّـلُ الـــوادي الحَيـــاةَ كَريمَـــةً
مِن راحَتَيـكَ عَميمَـــةً تَتَـدَفَّـــقُ

فـي كُـلِّ عـــامٍ دُرَّةٌ تُلقَـــى بِـــلا
ثَمَـنٍ إِلَيكَ وَحـــرَّةٌ لا تُـصـــدَقُ

حَـولٌ تُسائِـلُ فيـهِ كُـــلُّ نَجيبَـــةٍ
سَبَقَت إِلَيكَ مَتـــى يَحـولُ فَتَلحَـــقُ

وَالمَجـدُ عِـنـــدَ الغـانِيـاتِ رَغيبَـــةٌ
يُبغى كَما يُبغى الجَمـالُ وَيُعشَـــقُ

زُفَّت إِلـــى مَلِـكِ المُلـــوكِ يَحُثُّهـــا
ديـنٌ وَيَدفَعُهـا هَـوىً وَتَشَـــوُّقُ

فـي مِهرَجـــانٍ هَـــزَّتِ الـدُنيا بِـهِ
أَعطافَها وَاِختالَ فيـــهِ المَشـــرِقُ

مَجلُـوَّةٌ فـــي الفُلـــكِ يَحـدو فُلكَهـا
بِالشاطِئَينِ مُزَعـــرِدٌ وَمُصَـفِّـــقُ

أَلقَـتْ إِلَيـــكَ بِنَفسِهـــا وَنَفيسِـهـــا

وَأَتَتكَ شَيِّقَـةً حَـواهـــا شَـيِّـــقُ

خَلَعَت عَلَيـــكَ حَياءَهـــا وَحَياتَهـــا

أَأَعَزُّ مِـن هَذَيـنِ شَـيءٌ يُنفَـــقُ؟

وَإِذا تَنـــاهى الحُـــبُّ وَاتَّفَـــقَ الفِـدى

فَالروحُ في بابِ الضَحِيَّـــةِ أَلْيَـــقُ

يا نيلُ أَنتَ يَطيبُ مـــا نَعَـتَ الهُـــدى

وَبِمَدحَـــةِ التَـوراةِ أَحـرى أَخلَـقُ

أَصلُ الحَضارَةِ فـي صَـعيدِكَ ثابِـــتٌ

وَنَباتُها حَسَـنٌ عَلَيـــكَ مُخَـلَّـــقُ

وُلِدَت فَكُنتَ المَهـدَ ثُـــمَّ تَرَعرَعَـــت

فَأَظَلَّهـــا مِـنـكَ الحَـفِـيُّ المُشفِـقُ

مَـــلأَت بِيـــارَكَ حِكمَـــةً مَأثورُهـــا

في الصَخرِ وَالبردي الكريمِ مُنَبَّـــقُ

وَبَنَت بُيوتَ العِلـمِ بِاذِخَـــةَ الـــذُرى

يَسـعى لَهـــنَّ مُغَـــرِّبٌ وَمُشَـــرِّقُ

وَإِلَيكَ يُهدي الحَمـدَ خَلـــقٌ حازَهُـــم

كَنَفٌ عَـــى سَـرَّ الـدُهورِ مُرَهَّـقُ

يَبنـــونَ لِلَّـــهِ الكِنـــانَـــةَ بِالقَـــنـــا

وَاللهُ مِـــن حَـــولِ البِنـــاءِ مُوَفِّـــقُ

أنظر إليه في النص السابق يتحدث عن نهر النيل وأمواجه المتلاطمة ويسائله في دهشة وإعجاب ، سؤال العارف الذي يدعي التجاهل : كم مضى عليك من الوقت وأنت هنا تجري بين المدن والقرى والحواضر وأي المدن تلك التي أفضت عليها بريك ، وظللتها بروائك ؟ ورويت عطش أهلها؟ وهل أتى من ماء السماء (المطر) أم أنه جاء من أعالي الجنت ونبع من هناك نبعا صافيا رائقا سلسبيلا ؟ويكمل الشاعر تساؤله حول النهر فيقول : أيها النهر من أي عين أنت فضت ومن أي مزنه وغيمة جئت وأي ديمة تلك التي احتملتك فيها لتمطر بك ؟ وربما تكون طوفانا فاضت به إحدى البحيرات فكونتك ثم ينتقل الشاعر إلى وصف أثر النيل على ما يجاوره من أرض فيصف الغلالة التي يصنعها هذا النهر على ما حوله من مساحات على جانبي الوادي فتبدو في ثوب قشيب وحلة لا تبلى .

ثم يتحدث عن احتفال المصريين بالنيل وما يسمى (يوم وفاء النيل) حيث كان الفراعنة في هذا اليوم ينتقون فتاة جميلة ، ويزينونها بالذهب والحلي ، ثم يلقون بها إليه اعتقادًا منهم أنها تزف إليه .

وشوقي إذ يتناول هذه الفكر ، فإنه يعرضها بأسلوب جذاب ، ولفظ فصيح وصور خلابة .

وهذه قصيدة أخرى له يتغنى فيها بجمال النيل وعذوبته

النيل العذب للشاعر أحمد شوقي

النيـــلُ العَـــذبُ هُـــوَ الكَـــوثَر
وَالجَنَّـــةُ شـــاطِئُهُ الأَخضَـــر
رَيّـــانُ الصَـــفحَةِ وَالمَنظَـــر
مـــا أَبهـــى الخُلـــدَ وَمـــا أَنضَـــر
البَحـــرُ الفَيّـــاضُ القُـــدسُ
الســـاقي النـــاسَ وَمـــا غَرَسُـــوا
وَهـــوَ المِنـــوالُ لِمـــا لَبِســـوا
وَالمُـــنعِمُ بِـــالقُطنِ الأَنـــوَر
جَعَـــلَ الإِحســـانَ لَـــهُ شَـــرعا
لَم يُخـلِ الـوادِيَ مِـن مَرعـى
فَتَـــرى زَرعـــاً يَتلـــو زَرعـــا
وَهُنـــا يُجنـــى وَهُنـــا يُبـــذَر
جـــارٍ وَيُـــرى لَـــيسَ بِجـــارِ
لِأُنـــاةٍ فـــيهِ وَوَقـــار
يَنصَـــبُّ كَتَـــلٍ مُنهـــارِ
وَيَضِـــجُّ فَتَحسَـــبُهُ يَـــزأَر
حَبَشِـــيُّ اللَـــونِ كَجيرَتِـــهِ
مِـــن مَنبَعِـــهِ وَبُحَيرَتِـــهِ

صَـــــــبَغَ الشَّـــطِّينِ بِسُـــمرَتِهِ

لَونـــــاً كَالمِســـــكِ وكَـــــالعَنبَر

وتعالوا بنا مع شاعر الجندول ، وقد استقل قاربا ، وراح يتجول فوق ماء النيل ، يحاوره حينا ، ويصف ماءه حينا ، ويجتر ذكرياته عن النيل أيام الفراعنة فتأمل ما كتب :

الجندول

للشاعر علي . حمود طه

أيــن مـــن عينـــي هاتيــك المجــالي ؟

ياعروس البحر ، يــاحلم الخيــال

أين عشاقك ســـــــــــمار الليــالي ؟

أين من واديك يا مهــد الجــمــال

موكب الغـــــــــيد وعيــد الكرنفــال

وسرى الجندول في عرض القتــال

بين كأس يتشـــــــــهى الكــرم خمــره

وحبيــب يتمنـــى الكــأس ثغــره

التقـــت عـــــــينِي بـــه أول مـــره

فعــرفت الحــب مــن أول نظره

أيــن مـــن عينـــي هاتيــك المجــالي؟

ياعروس البحر ، يــاحلم الخيــال

مر بي مستضـــحكا فـــي قـــرب ســـاق

يمـــزج الـــراح بأقـــداح رقـــاق

قـــد قصـــدناه علـــى غيـــر اتفـــاق

فنظرنـــا ، و ابتســـمنا للتلاقـــي

وهو يســـتهدي علـــى المفـــرق زهـــره

ويســـــــــــوي بيد الفتنة شعره

حـــين مســـت شـــفتي أول قطـــره

خلتـــه ذوب فـــي كـــأسي عطـــره

أيـــن مـــن عينـــي هاتيـــك المجـــالي؟

ياعروس البحر ، يا حلـــم الخيـــال

ذهبـــي الشـــعر ، شـــرقي الســـمات

مرح الأعطـــاف ، حلـــو اللفتـــات

كلما قلـــت لـــه : خـــذ . قـــال : هـــات

ياحبيـــب الـــروح يا أنـــس الحيـــاة

أنا مـــن ضـــيع فـــي الأوهـــام عمـــره

نســـي التـــاريخ أو أنســـي ذكـــره

غيـــر يـــوم لـــم يعـــد يـــذكره غيـــره

يـــــوم أن قابلتـــه أول مـــــرة

أيـــن مـــن عينـــي هاتيـــك المجـــالي؟

ياعرو، البحـــر، يـــاحلم الخيـــال

قـــال: مـــن أيـــن ؟ وأصـــغي ورنـــا

قلت : من مصر ، غريـــب ههنـــا

قـــال: إن كنت غـــــــــــريبـــا فأنـــا

لم تكن فينيســـــــــيا لي موطنـــا

أيـــن منـــي الآن أحـــلام البحيـــرة؟

وسماء كســـت الشـــطآن نضـــره

منزلـــي منهـــا علـــى قمـــة صـــخره

دات عين من مـــعين المـــاء ثـــره

أيـــن مـــن فارســـوفيا تلـــك المجـــالي

ياعروس البحـــر، يـــاحلم الخيـــال

قلت، والنشـــوة تســـري فـــي لســـاني :

هاجت الذكرى ، فأين الهرمـــان ؟

أيـــن وادي الســـحر صـــداح المغـــاني؟

أين ماء النيل ؟ أيـــن الضـــفتان ؟

آه لـــو كنـــت معـــي نختـــال عبـــره

بشـــــــراع تسبح الأنجـــم إثـــره

حيث يروي المـــوج فـــي أرخـــم نبـــره

حلم ليـــل مـــن ليـــالي كليـــوبتره

أيـــن مـــن عينـــي هاتيـــك المجـــالي ؟

ياعروس البحـــر، يـــاحلم الخيـــال

أيهـــا المـــلاح قـــف بـــين الجســـور

فتنـــة الـــدنيا وأحـــلام الـــدهور

صـــفق المـــوج لولـــدان وحـــور

يغرقون الليل فـــي ينبـــوع نـــور

لمحـــب لـــف بالســـاعد خصـــره ؟

ليت هذا الليـــل لا يطلـــع فجـــره

أيـــن مـــن عينـــي هاتيـــك المجـــالي ؟

ياعروس البحـــر، يـــاحلم الخيـــال

رقـــص الجنـــدول كـــالنجم الوضـــي

فاشد يـــاملاح بالصـــوت الشـــجي

شـــاعت الفرحـــة فيهـــا والمســـره

وجلا الجب على العشـــاق ســـره

يمنة مـــل بـــي علـــى المـــاء ويســـره

أن للجندول تحـــت الليـــل ســـحره

أيـــن يـــا فينيســـيا تلـــك المُجـــالي ؟

أيـــن عشـــاقك ســـمار الايـــالي ؟

أيـــن مـــن عينـــي يامهـــد الجمـــال ؟

موكب الغيـــد وعيـــد للكرنفـــال ؟

يا عروس البحر ، ياحام الخيال

أما الشاعر العبقري محمود حسن إسماعيل فيتحدث عن رحلة النيل الطويلة وسفره البعيد الممتد من أقصى الجنوب إلى أقصي الشمال ، يسير ولا يمل من المسير ، وتجيء الليالي والأيام وتمر وهو في مكانه فتي قوي جذاب كعهده معطاء فياض العطاء ، وهو في خلوده يمنح الكون النماء ، ويلهم الطير الغناء ، ويلهم البيان للشعراء ، فتأمل قول الشاعر :

"النهرُ الخالد"

للشاعر "محمود حسن إسماعيل"

مُســـــــافرٌ زادهُ الخـــــــــيال

والسحرُ والعطـرُ والظِـــــلالُ

ظمـــآن والكـــــــأس فـــي يديـــهِ

والحب والفـن والجمـــــــــــالُ

شـــابت علـــى أرضـــــهِ الليـــالي

وضـــيَّعت عُمرهـــا الجبـــالُ

ولم يـــــزل يَنشُـدُ الديـــــــارا

ويســـــألُ الليـــلَ والنهـــارا

والنـــاسُ فـــي حبِّـــهِ سُكـــــارى

هامـــوا على شَـطهِ الرَحـــيب

آهٍ علـــى ســـــــــرك الرهيـــب

وموجكَ التائهِ الغـــــــــريب

يا نيلُ يا سَـــــــاحِرَ الغيوب

يـــا واهِـــبَ الخُلـــدِ للزمـــان

ياســـاقيَ الحـــبِّ والأغـــاني

هـــاتِ اســـقني واسقـــني ودعنـــي

أهيم كالطير فـــي الجِنـــــان

يا ليتني مـــوجةٌ فأحـــــــكي

إلى لياليك مـــا شجـــاني

وأغتدي للريـــــــاح جارا

وأســكب النـــــورَ للحيـــارى

فإن كـــواني الهـــوى وطـــارا

كانـــت ريـــاح الـــدجى طبيبـــي

آهٍ على ســـــــــرك الرهيـــب

ومَوجِـــكَ التائـــه الغريـــب

يا نيلُ يا ساحِرَ الغيوب

ســـمعت فـــي شـــطك الجميـــل

مـــا قالـــت الـــريح للنخيـــل

يســـــبح الطيـــــرأم يغنـــــي

ويشـــرح الحـــب للخميـــل

وأغصـــــن تلـــــك أم صـــــبايا

شربز مـــن خمـــرة الأصـــيل

وزورق بالحنيـــــــــن ســـــارا

أم هـــذه فرحـــة العـــذارى

تجـــري وتجـــري هـــواك نـــارا

حملـــت مـــن ســـحرها نصـــيبي

آه علـــى ســـــــرك الرهـــــيب

وموجـــك التائـــه الغريـــب

يـ ـيل يا ســاحـــر الغيوب

وها هو الشاعر محمد التهامي يحدثنا في إعجاب عن عطاء النيل وكيف يحيل الرمال خضرة ونماء . ويهبها أسباب الحياة بأمر من الله الخالق القادر فاستمع ما قاله في :

قصيدة نيلنا العظيم "للشاعر محمد التهامي"

طـف بالرمـال وأحـــيها يـا نـيـــل

مـــا أنـــت يـــا ســـر الحيـــاة بخيـــل

وانثـــر بهـــا القبـــل العـــذاب علـــى الثـــرى

يبعـــــث مواتـــــا فوقتهـــــا التقبيـــل

أجـــراك ربـــك بالحيـــاة وطالمـــا

نبتـــت حيـــاة النـــاس حيـــث تســـــيل

وحبـــاك قـــدرة صـــانع هـــذا الثـــري

نبتـــت حـــــياة النـــاس حيـــث تســـيل

قمـــضـــــــت يمينك للجبـــال تهيـــل

فـــاذا بهـــا وهـــي الشـــــوامخ تنحنـــي

واذا بهـــا فـــي راحتيـــك ســـهول
وإذا الصـــحاري القفـــر تفـــتح صـــدرها
وتصـــول انـــت بصـــدرها وتجـــول
وتحـــيلها وهـــي العبـــوس بشـــاشة
خضـــراء يقطـــر ريقهـــا المعســـول
وجـــرى النمـــاء وراء خطـــوك مـــا اســـتوى
يمضـــي وإن مـــال المســـير يميـــل
أبدعـــت حـــين بنيتهـــا مزدانـــة
مـــا فـــاتك التـــزيين والتجـــميل
والناس حـــولك قد ملكت نفوســـهم
وتحيـــرت فيمـــا صنعـــت عقـــول
واليـــوم حـــين رأيـــت شـــعبك قـــد غـــدا
حـــرا وأشـــرق فجـــره المـــأمول
لـــم تـــرض أن يحيـــا بأرضـــك أهلهـــا
والخيـــر فـــي يـــدهم هنـــاك ضـــئيل
فخفضـــت رأســـك فـــي ســـمو بـــالغ
للســـد يحـــفـــظ مائنـــا ويحـــول
ويســـيل خـــيرك كلـــه فـــي أرضـــنا
مـــا ذاك يـــا ســـر الحـــياة قلـــيل

ويظل النيل مصدر إلهام الشعراء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.